

الدولة الأخمينية

انثروبولوجية النشوء والصورة التاريخية

دبير منزلر

ترجمة: د. جورج كوتورة

دخل التاريخ الايراني في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد مرحلة التطور باتجاه دولة مركزية منظمة. هنا، علينا الالتفات إلى هذه الظاهرة، وهي تترافق مع الشروط السياسية - الاقتصادية بأداة أيديولوجية ساعدت على تحقيق هذا الهدف. صحيح أن الفرس قد اقتبسوا كثيراً من النظم والتقنيات الإدارية والسياسية عن امبراطورية الميديين، وهذا ما يؤكد الاشتقاق اللغوي الواضح، وذلك بعد أن استطاع قورش (الكبير) عام 553 ق. م قهر ملكهم استياخوس⁽¹⁾. بل أن قورش مؤسس الدولة الفارسية باحتلاله لمملكة بابل الحديثة قد أخاف نماذج حكم آشورية وأخرى تعود لثقافة ما بين النهرين القديمة⁽²⁾. صحيح إن الفرس كانوا قد بدأوا منذ القرن التاسع بالتوسع في شمال غربي إيران أول الأمر، ثم انحدروا إلى الجنوب الشرقي متجاوزين أودية زغروس حتى باريس حيث تم مؤخراً اكتشاف مقر حكمهم⁽³⁾. وبذلك يكون الاحتكاك كبيراً مع الثقافة الاشورية، وهذا ما تؤيده المصادر⁽⁴⁾، إلا أنهم حافظوا في الوقت نفسه على ثقافتهم البدوية لوقت طويل. ومن مؤسساتهم السياسية الهامة نشر الى تأسيسهم لما يعرف بالمجلس الشعبي، والذي أشار إليها كزائفون Xenophon فيما بعد معتبراً إياه تجمعاً للأحرار كان يعقد تجاه مقر الملك⁽⁵⁾.

مع قورش بدأ شيء جديد: فبحروجه من ميديا استطاع ان يوحد القبائل الفارسية⁽⁶⁾. ثم شرع في تقسيم البلاد التي أخضعها بحذ السيف تقسيماً جديداً، تشهد على ذلك المدن الجديدة التي أسسها، والتي تحمل اسمه، إن على بحر قزوين أو على الخليج الفارسي⁽⁷⁾. وقد ألحقت بهذه المدن الاقاليم المجاورة لها⁽⁸⁾. أما إدارة هذه المناطق فقد انتزعت من النبلاء المحليين وأسندت إلى أناس جدد، إلى «أصدقاء» الملك - هذا ما جرى في إقليم «بارا» حيث ألزم ملك ليديا بالالتحاق بالجيش⁽⁹⁾.

وقد ذهب كزانفون إلى حد القول أن تقسيم المملكة في ساترابيان قد تم أيضاً من قبل قورش⁽¹⁰⁾. ونرمي هذه التدابير كما يبدو إلى تفتيت السلطات المحلية التي تقوم على اتحاد بعض الأشخاص، وقد أستعيض عن ذلك بتقسيم جديد للأراضي مع تعمد إضعاف النبلاء، وقد اعتمد الملك، بقدر الاستطاعة على أشخاص اختارهم هو بالذات، وكانوا مسؤولين أمامه بشكل مباشر. من جملة المؤسسات التي تولت المراقبة نشير إلى الديوان الملكي - الأرشيف الملكي⁽¹¹⁾. وقد توافقت التقسيمات على الأرض، أو التقسيمات الإقليمية، مع إصلاحات عسكرية تناولت حتى تغيير اسم الجيش ومفهومه⁽¹²⁾. من ذلك تجهيز الفرد أو الفيلق بكامله بما يلزمه من الأملاك، له ولعنايته (من سلاح أو خيل). ويستفاد من الكتابات المسهارية أن تجهيز مثل هذه الفرق المدرعة قد تم قبل داريوس وقمبيز، وربما كان ذلك فيما اعتقد زمن قورش⁽¹³⁾. إن مصادرة الأراضي لحساب الجند أو المستوطنين من الجنود كانت عملية سائدة في المناطق التي يجري الاستيلاء عليها، إلا أننا لا نعتقد أن هذه المصادرة قد تمت دون أن تلقى معارضة شديدة من أصحاب الأرض الأصليين.

من جهة أخرى أثقلت الحروب والتجهيزات العسكرية كاهل الشعب: فالحروب الهجومية المستمرة التي قام بها قمبيز (522/529 ق.م) وتابعه فيها ابنة فورش لإكمال مشاريع والده في احتلاله لمصر وبلوغه بلاد النوبة، كانت عبئاً ثقيلاً على الفلاحين الذين عانوا الأمرين، أولاً من الخدمة العسكرية الإلزامية، وثانياً من الضرائب والعطايا المستمرة. هذه الخلفيات تساعدنا على فهم التمرد الذي قام به الكاهن جوماتا. فقد اندلع هذا التمرد فيما كان قمبيز يجهز للعودة من معاركه في مصر عام 522. ويعتبر هذا التمرد من الأحداث التاريخية الهامة في التاريخ الإيراني المبكر. وهو يستحق التوقف عنده ودراسته دراسة مفصلة. إن المصادر التي تناولت هذا الحدث قليلة بالطبع، ذلك أن كتابة التاريخ كان حصرأ على المنتصر الذي أهمل هذه الأحداث. أما هيرودوتس فقد حافظ على بعض الروايات التي تحمل طابعاً متعاطفاً مع هذه الحركة، من ذلك الإشارة إلى أن جوماتا قد وعد الشعب برفع الضرائب وبرفع الخدمة الإلزامية العسكرية لمدة ثلاث سنوات⁽¹⁴⁾. لقد عالج م. أز داندانيف (M.A. Dandanaev) دلالة هذا التمرد من الناحية الاجتماعية والاقتصادية⁽¹⁵⁾، كما حاول ف. التهام التوسع في علاقة هذا التمرد بزرادشت⁽¹⁶⁾، كما أشار إلى البرنامج الاجتماعي الذي كان له تأثيره بعد أكثر من ألف سنة على المزدكية⁽¹⁷⁾. إن من «حيث» المضمون أو من حيث التأثير. وعن الدلالة الاجتماعية لهذا التمرد وعن الأثر الذي تركه لدى العامة يحدّثنا هيرودوتس في إحدى الروايات حيث يشير إلى إقامة الاحتفالات إحياء لوفاة جوماتا⁽¹⁸⁾. إن الاحتفال بذكرى القضاء الدموي على هذه الحركة قد حولت إيديولوجية التمرد إلى نوع من الأمور المحرمة (تابو) يطبع المنهزمين بطابع الذين لا أمل لهم. لقد تم الإحتفال بالظلم بنفس الطريقة التي كان الإسبارطيون في ذلك العصر يحتفلون بها بالقضاء على الأسرى، أي بطريقة احتفالية قوامها الإحتقار والمذلة⁽¹⁹⁾.

لنكون فكرة عن شعبية جوماتا، يكفي أن نلقي نظرة على عدد ضحايا هذا التمرد. إذ نتحدث المصادر

الآرامية عن 108010 أسرى في إقليم واحد. كما تشير أيضاً إلى انه قد وقع في إقليم مارجيانا الذي يعتبر معقلاً للزرادشتية 55243 قتيلاً و 6972 أسيراً⁽²⁰⁾. إن الإبقاء على حياة الأسرى يقودنا إلى التفسيرات التالية: من الثابت حاجة داريوس لهم للعمل في الأرض⁽²¹⁾، كما يمكننا الافتراض أن الحاجة كانت ماسة لقوى عاملة كثيرة العدد، إن في برسوبوليس أو في أعمال النقل⁽²²⁾، حتى أن أسماء الأماكن في بارس⁽²³⁾، كما في مناطق أكبأتانا تدل على توطين الأسرى المتمردين فيها⁽²⁴⁾. لقد كانت مستعمرات ضمت المتمردين من ميديا وقد رحلهم داريوس الى هناك. وكما بحث في أماكن أخرى أبقى النازحون الجدد على الأسماء القديمة لهذه الأماكن⁽²⁵⁾.

ثمة فرضية أخرى يمكن تقديمها تفسيراً لذلك التمرد: يستفاد من النقوش المكتشفة والمعروفة بنقش بهيستوم، ان التمرد قد بدأ في الخامس والعشرين من شهر فياخنا (11 آذار) من عام 522 على ما جاء في الأرشيف، وذلك في جبل أركادريش⁽²⁶⁾. وثمة علاقة وثيقة بين هذا التاريخ وبين عدد أنصار جوماتا، إذ ان التلمود يحدثنا حتى في القرن الثالث بعد الميلاد عن إيفاد رسل من قبل الأرشيف (الديوان) في مثل هذا اليوم من كل عام لجمع العمال للعمل بالسخرة في حفر الشوارع وفي أقبية الري⁽²⁷⁾. وشهر آذار في التلمود هو الشهر الموافق لشهر آذار وكما يرد في نقش بهيستوم الأكادية، وهو ذاته شهر فياخنا الذي يرد في الفارسية القديمة. ويشير تقديم الكوارث البابلي في شهر آذار إلى أمرين لها دلالتها: إن حفر الترع والآبار في هذا الشهر يعني تجاوز العدو⁽²⁸⁾، والسخط العاصف على الملك الذي ستثور أرضه عليه، وإلى ثورة الإله إرا⁽²⁹⁾. كذلك إن لكلمة فياخنا دلالة على الفعل حَفَرَ⁽³⁰⁾، لكن لا بمعنى حَرَثَ أو قَلَبَ الأرض⁽³¹⁾، بل بمعنى حفر الترع كما تشير إلى ذلك الكتابات التلمودية والأكادية، بدأ تمرد جوماتا الذي كان على ما يبدو عاملاً في اركادريش⁽³²⁾، وفي ذلك الشهر الذي بدأ فيه بتجميع الفلاحين بالقوة⁽³³⁾ من أجل تجميع قوة عاملة تعيد إصلاح قنوات الري، وقد رأى هؤلاء أن عددهم كبير. لما يكفي للاحتجاج على نفقات الحرب وعلى المعارك التي قام بها قمبيز، وعلى العلاقات والإلزمات الآخذة في التزايد والتي ألزمهم بها النبلاء من قادة العسكر - هكذا بدأت أيضاً ثورة الزنج في القرن التاسع بعد الميلاد⁽³⁴⁾، في خوزستان حيث ألزم الزنج بتنقية الأراضي الزراعية المروية من رواسب الملح فيها⁽³⁵⁾. وهنا أيضاً اندلع التمرد حين اتحد قسم كبير من القوى العاملة. وفيما يتعلق بالمكان وبالزمان الذي بدأ وانتهى فيها تمرد جوماتا أوضح ج.فيدنكرين (G. Widengren) ان نهاية التمرد كانت في شهر باجايا ديش، وهو شهر الصيام، إذ كان لكل فرد الحق أثناء الاحتفال بعيد ميترا أن يدخل على الحاكم، وبذلك يتضح إمكان اقتراب داريوس والمتآمرين معه من جوماتا/سمرديس⁽³⁶⁾.

تُظهر إصلاحات داريوس الجهة التي تصدى لها التمرد: فهو قد أرجع أرض النبلاء وقادة العسكر كما أعاد أملاكهم، وأعاد إصلاح أماكن العبادة⁽³⁷⁾. وهذا ما يتفق مع معلوماتنا، إذ ان قورش قد منح النبلاء وقادة الجيوش الأرض والناس⁽³⁸⁾. وكما يظهر، يستند هذا الشكل من التنظيم العسكري وتجهيزه إلى مصادرة أراضي القدامى الذين يعيشون في ميديا أو في أماكن أخرى والذين لا يتعدى شكل ملكيتهم حدود التنظيم القبلي الذي

يشكلونه. وبإعادته إحياء الأرستقراطية العسكرية، استطاع داريوس أن يمسك زمام الجيش⁽³⁹⁾. أما ما ينسب لجوماتا من هدمه للأماكن المقدسة فإننا نذكر ببعض الكتابات النبؤية والتي تظهر التمرد حرباً من أجل العبادة وهدم معابر الأصنام لأنها تخضع للملكية الأعداء ثم ان ذلك قد تم بأمر مترا⁽⁴⁰⁾، وكان جوماتا واتباعه يحتفلون بعيد مترا في شهر باقاياديش⁽⁴¹⁾.

لقد سُحق التمرد كما نعلم. والرابع الأكبر كان داريوس أحد نبلاء الفرس⁽⁴²⁾ الذي استطاع بمساعدة بعض أعوانه من قتل جوماتا ومن تولي الحكم. وما هي الوسائل الايديولوجية التي استعان بها لإضفاء الشرعية على إجراءاته؟ هذا ما سيتضح لنا فيما بعد. لقد ركز في البداية على تقوية حكمه المركزي، فامسك بيده حكم المملكة بكاملها. صحيح ان داريوس قد أعاد للنبلأ مراكزهم وأعطى بعض العائلات حقوقاً مطلقة، إلا أنه استطاع أن يربط هؤلاء به ربطاً مباشراً. فمنحه الأرض للنبلأ أظهر هؤلاء، لأنهم تلقوا من يده ما حصلوا عليه، الاعتراف بسلطته. والولاة كانوا في قسم منهم مفوضين من الملك يمارسون إلى جانبه مهمة المراقبة، يساعدهم في ذلك نظام جاسوسي « عيون الملك وآذانه »⁽³⁴⁾. في الوقت ذاته خسرت العامة بعد فشل التمرد امكانية الوقوف وانقطعت روابطها بأماكنها القديمة وذلك من خلال إسكانها مناطق أخرى أو من خلال نقلها الإلزامي من جهة لأخرى.

رافق المساواة بين عامة الشعب يجعلهم درجة واحدة - باستثناء النبلاء - والدرجة هذه توازي درجة العبيد - الرعية - رافق ذلك بعض التجديد في تحويل الإتاوة⁽⁴⁴⁾ - الهدايا الإلزامية - إلى ضرائب وذلك من خلال استحداث العمل - بالعملة النقدية⁽⁴⁵⁾. ظل سك العملة - تبعاً لقاعدة الذهب - من امتياز الملك، وبذلك تحول المال، ومنذ وقت مبكر جداً، إلى أداة ضغط سياسي واقتصادي لا مثيل له، إذ كان بمقدوره وتبعاً للحاجة أن يأمر (الملك) بالدفع نقداً أو بتقديم خدمات عينية⁽⁴⁶⁾. سياسياً، يعني التجديد النقدي للضرائب تشييء العلاقة وتوحيداً بين الحاكم والرعية. أما المظهر الإيجابي الذي امتازت به الضرائب التي وضعها داريوس برأي الكتاب القدامى، إنما سعت لوضع حدٍّ للتعسف في تقييم ما يجب على المحاصيل، ثم انها رفعت الزيادات التي يلجأ إليها أصحاب الاملاك. في الوقت ذاته أزيلت بعض الامتيازات، من ذلك تجهيز المعابد كما في بابل⁽⁴⁷⁾ ومصر⁽⁴⁸⁾، وتحول ذلك إلى ضرائب مباشرة.

إن لتجميع المال في يد الملك أثراً آخرأ يتعدى مجرد تكميزه - فقط 5 بالمئة كان يجري تجميده في المخازن الملكية⁽⁴⁹⁾ - وهذا لا يعني مجرد التعبير المادي عن السلطة، بل يعني وقف الاستئجار، وما يرافق ذلك من تمايز اجتماعي، كما يعني أيضاً تثبيت الاقتصاد الملكي ذي الصبغة السياسية الاحادية، تشكل إدارة البلاط وما يرتبط بها من اعداد الموظفين واستخراج المواد الاولية الوحدة الاقتصادية الأكبر داخل المملكة. ازاء مركزية السلطة هذه، التي جعلت لأخصامها مصالحهم الخاصة، انعدمت حركات التمرد الواسعة النطاق كالتي قام جوماتا وأنصاره، وإن لم يتوقف احتجاج الأفراد. من خلال العلاقة الموحدة بين

الملك وأفراد رعيته ظهر نظام سلطوي ذي غمط جديد ، وقد اقتضت بنيته إيجاد أشكال ايدولوجية جديدة تؤمّن بقاءه . هكذا شكّل قسم كبير من الناس طبقة جديدة - كتلك التي تولّت الأعمال القانونية وأعمال الادارة⁽⁵⁰⁾ وحلفاءهم من البيروقراطيين - هذا وقد قامت بين هذه الطبقة من جهة وبين نظام الدولة من جهة أخرى علاقات مجردة حلّت مكان العلاقات الشخصية ومهدت للمركزة وعبره بما يملك من مقدّرات مالية يمكن استخدامها في توزيع العمل والتدخل في تشكيل الطبقات الاجتماعية المحلية . ذلك ان الطابع المحلي قد ازداد بتزايد تبادل البضائع - وبشكل خاص ببناء المدن الجديدة - مما سمح بالمراقبة الفعلية للضرائب وذلك من خلال المراقبة المالية .

ولتأكيد قوة الدولة كحافظ للنظام جرى التركيز على العوامل الايدولوجية واللاهوتية ، وقد أضيف لهذه التبريرات تبريرات أخرى ذات طبيعة تاريخية . والمفاهيم الأولى تمّ وضعها في عهد قورش ، اذ خلقت ثورة جوماتا ظروفاً جديدة كان على داريوس أن يواجهها بأجوبة جديدة .

بالنسبة لقورش ، أول الأمر ، تمّ استحداث المفهوم الذي ينادي بانقضاء أكثر من الفي عام على بدء التاريخ : وذلك من قبل أن يستحدث كريستوف سلايوس (1638-1707) تقسيمه للتاريخ الى قديم ووسيط وحديث ، وقد اعتبر تعاقب الامبراطوريات العالمية بمثابة مبدأ يوحى بالنظام⁽⁵¹⁾ . لا يرتبط بذلك أحداث سياسية أو فكرية⁽⁵²⁾ بل إن لهذا التعاقب أيضاً دلالات تتعلق بعالم الآخرة⁽⁵³⁾ . وتبعاً للشكل القديم تحدّد تعاقب الدول على النمو التالي : الآشوريون - الميديون ثم الفرس . هذا هو التعاقب التاريخي بالنسبة للمشرق كما نلمحه في كتابات هيرودوتس⁽⁵⁴⁾ ، الذي حلّل هذه الحقبة جاعلاً المرحلة الديمقراطية التي عاشتها أثينا وحروبها الدفاعية ضد الفرس تنويعاً لهذه المرحلة ، التي يبدأ معها تاريخ جديد يمتاز بالتعايش السلمي⁽⁵⁵⁾ وبالتوسع التجاري الذي عرفته أثينا خلال حكم باركليس . وقد عايش هيرودوتس هذه الحقبة وعكست كتاباته ترحيبه الحار بالدور الخاص الذي لعبته أثينا آنذاك⁽⁵⁶⁾ . بالنسبة لأثينا لا يعني التعاقب التاريخي المشار إليه شيئاً مهماً ، باعتباره من المسائل الشرقية ، لكن الأمر تغير بعد قرون من ذلك ، خاصة بعد الادعاءات التوتاليتارية التي مثلها المقدونيون ومن بعدهم الرومان⁽⁵⁷⁾ . والى هذا الشكل أيضاً من التعاقب التاريخي أشار هلانيكوس من لسبوس وذلك قبل هيرودوتس⁽⁵⁸⁾ .

لا دلالات كافية لدنيا عن طموحات الميديين لإنشاء امبراطورية عالمية ، وهذا ما يعفينا من البحث في النتائج⁽⁵⁹⁾ . ولكن مجرد الإشارة إليهم هنا ربما تعني تمهيد الطريق للفرس⁽⁶⁰⁾ الذين يمثل التحرر من سادتهم بالنسبة لهم مرحلة هامة في سبيل الاستيلاء وتوسع ما اعتبره الآشوريون مملكتهم العالمية⁽⁶¹⁾ . تساعدنا بعض الكتابات المسارية (مجموعة ينس . رقم 2504) على تحديد الوقت الذي بدأ فيه الكلام عن تعاقب الممالك العالمية المشار إليها⁽⁶²⁾ : فقورش كما يستفاد من النصوص⁽⁶³⁾ وبعد استيلائه على بابل دون معركة يعتبر - وبعد تحوير التقاليد البابلية - آشور بانيبال مثاله الأعلى في السياسة⁽⁶⁴⁾ . فبعد أن تسنى لقورش تحرير

الميديين من سادتهم وبعد احتلاله لبابل، كان لا بد له من أن يلجأ الى مفهوم المالك الثلاثة، خاصة إذا علمنا أن ارتفاع الحاكم من ملك صغير إلى حاكم للعالم لا بد وأن يترافق مع تغطية ايدولوجية لها تكونها التاريخي التقليدي.

يفترض التأليف التاريخي بالنسبة للواصل الى العرش وجود مغتصب يكون الانتصار عليه انتصاراً أو انتقاماً لقبائل أخرى. وهذا ما فعله داريوس، نقلاً عن هيرودوتس حين اعتبر حربه اجراءً انتقامياً من القبائل القاطنة شمال البحر الأسود جزاء معاركهم في أرض ميديا. كما يوحي انتقال الملك من حكم لآخر بفكرتين متناقضتين في الظاهر: لإدعاء أن يكون الحاكم التالي أكثر شرعية وجدارة بحيث يحترم تقاليد سلفه، وان لا يكون كنبونيد آخر الحكام في دولة بابل الجديدة «الذي استحدث في البلاد أموراً لم تر من قبل»⁽⁶⁵⁾. من جهة أخرى ترتبط بالواصل الى الحكم توقعات ترتبط بالتنبؤات اليهودية، منها ما له علاقة بمعادلات أخروية منها ما يفيد أغراض الدعايات السياسية. وقد اثقل كاهل قورش إعلان ولادة عصر جديد حين أعلن إعادة الشعوب التي تم ترحيلها إلى اماكنها، لذلك رأى فيه اليهود ممثلاً لإرادة إلهية. وهنا لم يستحدث قورش شيئاً جديداً كما فعل نبونيد، بل أعاد ترميم النظام القديم المنهار منذ زمن طويل، فالتوقعات بقرب نهاية العام، قديماً وحديثاً - لا تهدف سوى لاستعادة الوضع الأساسي.

برّر قورش نفسه ازاء رعاياه الايرانيين من خلال تصوير انتصاره اسطورة تمت بمساعدة الهية⁽⁶⁶⁾. فالمملكة التي انتزعها من الميديين وقعت ضمن مجال سيطرة الشعوب الايرانية. لهذا السبب كان لا بد له من تبرير بنية مختلفة، بحيث يبرر استمرار سيادته حتى على الأغراب، على الشعوب التي حررها من الميديين. اقتضت الحاجة لهذا التبرير الجديد ربطاً في النسب بين الأسرة الفارسية الحاكمة وبين الميديين بحيث تكون الوراثية غير الطبيعية أو غير المنتظمة قد تمت بمساعدة قوة تفوق قوة البشر، كما ان الاعلان عنها يتم بواسطة النبؤات: يخبرنا هيرودوتس كيف أن آخر ملوك ميديا قد روى احلاماً تفيد أن أحد أبناء اخته ماندان سيتمكن من حكم العالم⁽⁶⁷⁾. فالزواج الذي تم سابقاً تنفيذاً لسياسة اقطاعية يستعاد الآن لتبرير نجاح أحد الحكام.

إن القاء نظرة على مشاريع قورش في مصر تؤكد لنا وجود مخطط دعائي كامل يسعى لتبرير الجهود التي قام بها من أجل سيطرته على العالم. فقد حدثنا هيرودوتس عن هذه المشاريع التي لم يستطع قورش تحقيقها بل حققها ولي عهده ابنه قمبيز، وقد وردت هذه الأخبار في التنبؤات التوراتية⁽⁶⁸⁾. يشهد على تحضير هذه المشاريع الاكتشافات الحديثة من مثل وجود سراق في بورزخان⁽⁶⁹⁾ على الخليج الفارسي وهي تعود للسنوات الأخيرة من عهد قورش ووجود أسلاك شراعية في البحرين⁽⁷⁰⁾، مما يشير إلى تهيئة الطريق البحرية تمهيداً للوصول إلى مصر. فبعد الطموح بالاستيلاء على العالم أصبح تحقيق هذا الطموح مسألة وقت⁽⁷¹⁾، وقد سبق هذا الاحتلال تكوين صورة عن العالم تشه عليها الانجازات والتأثيرات التي امتلأت بها المنشآت الملكية في بازار كادي. ومن أهم الشواهد على ذلك يعتبر التاج المصري وما عليه من نقوش ورسوم⁽⁷²⁾. يضاف إلى ذلك

النقوش على أبواب وجدران القصور الملكية والتي لا يمكن فهمها إلا بإعادة الاعتبار الدينية المصرية إلى الأذهان⁽⁷³⁾، أمثال ذلك صور القبور والمعابد وإلى جانبها صورة الملك، يضاف إليها ترتيب الغرف والصالات ضمن البناء الملكي، صالة بشكل باخرة مع اضاءة من السقف لا تذكر بالصالة ذات الأعمدة التي نجدها في معبد آمون في الكرنك⁽⁷⁴⁾، بقدر ما تذكر بالمعبد المائل وصالة الولاثم الضخمة التي أنشأها تحوتمس الثالث⁽⁷⁵⁾. لا يرتبط البناء الذي شيده قورش على هذا النمط بالاستعمال الديني له، بل بما له من علاقة بمحيطه، من ذلك التشابه بين الجنائن التي أقيمت حول القصور الملكية في بازاركادي والمعروفة بالفردوس وهي تشبه الجنائن الموجودة في الكرنك⁽⁷⁶⁾، كما تتماثل أيضاً مع ما عرفه الآشوريون إذ كانت الجنائن رمزاً لسلطتهم⁽⁷⁷⁾. أن المعلومات عن هذه المنشآت قد آلت للملك عن طريق الروايات الاسطورية التي رافقت زواجه من إحدى الاميرات المصريات مفتتحاً بذلك هجومه السياسي على مصر⁽⁷⁸⁾. ويذكر هيرودوتس وجود أطباء مصريين كانوا برفقة الأميرة⁽⁷⁹⁾. كما يشير أحد التقارير⁽⁸⁰⁾ أن أحد الكهنة قد نقل لقممير أسراراً تاريخية وأخرى طقسية، كما أطلعته على أسرار الديانة والسياسة. وقممير لا يبدو هنا أكثر من منفذ للمشاريع التي وضعها والده، الذي وصلت رغبته إلى حد تجاوز مصر إلى سائر المناطق المعروفة من العالم كما أشار ف. التهام استناداً إلى نبؤات عن أرميا وقزحيا⁽⁸¹⁾. ولم يكن بوسع أي من خلفائه التراجع عن هذه التصورات.

وفيما يلي سنتناول التصورات الجغرافية - التاريخية إلى جانب التصورات السياسية التي ساهمت بتعزيز هذه الطموحات في السيطرة على العالم وعلى تنفيذها. أولاً؛ الاعتبار الجغرافي الذي يصور ايدولوجية السلطة الأخمينية، وهو يقوم على اعتبار إيران أرض كل الآريين، وإلى هذه الأرض ينتمي الفرس والميديين، وإيران بالنسبة لهم كالوسط من العالم ويجب أن ترتفع فوق كل المناطق الأخرى⁽⁸²⁾. ربما أراد داريوس بإصراره على جعل الايدولوجية الفارسية ايدولوجية ايرانية الاجابة على ذلك العنصر الإلامى (Elamisch) في مملكته، حيث يحمل الملوك أسماء غريبة لا نجد حتى اليوم تفسيراً لها مثل قورش وقممير⁽⁸³⁾، والتأكيد على البعد الآري مع الفصل من جهة أخرى بين الفرس وبين سائر سكان المملكة⁽⁸⁴⁾، تلك المملكة التي تشكل وحدة إتنية أكثر مما هي وحدة جغرافية⁽⁸⁵⁾. وهذه النظرة للعالم تعاصر نظرة مغايرة نجدها لدى اليونان الذين قسموا العالم إلى اقاليم⁽⁸⁶⁾: أوروبا المفصولة كلياً عن آسيا، فيما تشكل ليبيا = أفريقيا كما يقول هيرودوتس مشكلة شائكة يصعب تحديدها⁽⁸⁷⁾. إن هلاس الذي ابتدع هذا التقسيم في تاريخ الحروب الفارسية، فاصلاً بين أوروبا وآسيا، قد استخدم هذا التقسيم لأغراض أخرى، من أجل إحكام سيطرته معوضاً بذلك عن تقوية مواقعه الحدودية في مراكز القوة من الشرق القديم، باعتبارات جغرافية، ومعتبراً في الوقت نفسه البرابرة الآسيويين تهديداً للإنسانية، ومحاولاً أيضاً التغطية على المشاكل والتناقضات السياسية داخل دولته - المدنية⁽⁸⁸⁾. نجد لدى هيرودوتس معنى مماثلاً للجغرافيا، لا يخلو من نائر بالصورة الفارسية للعالم، خاصة حين يجعل من الليبيين والـ Massagaten الشعوب التي تسكن أطراف العالم⁽⁸⁹⁾ - كما يفعل بصورة خاصة لماذا تعرض التوسع الفارسي للمقاومة⁽⁹⁰⁾.

تصوّر النقوش، خاصة النقوش التي تمثل صور حاملي الضرائب، هذه السيادة على العالم التي لا نزاع عليها، نجد هذه النقوش في برسوبوليس^(٩١)، مع العلم أن كوش لم تكن من ضمن الشعوب التي تنتمي لشعوب تلك المملكة. من الملفت للنظر أن تمثل النقوش حاملي الضرائب في ساحة الأعياد في برسوبوليس يقدمون الحيوانات والمواد الأولية من كل الأصناف والمصنوعات اليدوية والحرفية ولا يقدمون ضرائب نقدية مع أن النقود كانت قيد الاستعمال أثناء وضع هذه النقوش. ثم أن الشكل الاستعراضي الذي يظهر فيه مقدمو الضرائب يغطي على كل ما يصيبهم من حرمان وظلم.

كما أننا يجب أن نعتبر القصر الملكي بالذات شكلاً من أشكال الضريبة، ذلك أن بناءه قد تمّ بمساهمة كافة شعوب المملكة، كلّ حسب ملكاته وقدراته^(٩٢). وتمثّل النقوش المتعدّدة والرسوم التي تزيّن أرجاء القصر والحفلات المختلفة التي كانت تقام فيه إلى جانب الاستعراضات القومية، كل ذلك يعتبر شكلاً من الدعاية لتسلط الأخميني على العالم. مثل هذه الرموز نجدها أيضاً على بعض النقوش الأخرى التي تمثل حملة العرش في برسوبوليس أو على نقش رستم^(٩٣) وهي هنا بلسان داريوس بالذات^(٩٤).

رأى الحكام أن من واجهم توسيع المملكة بحيث تعتبر حدودها حدود العالم المعروف. إلا أن حملة قورش على Massageten قد منيت بالفشل، وكذلك هجوم قمبيز على الليبيين. وقد حاول داريوس بلوغ عالم ما وراء البحر، يشهد على ذلك حملته على بحر قزوين وهو ما اعتبره بطليموس جزءاً من عالم المحيط، وما قام به سلفه من اقفال الطريق البحرية ما بين مصر وفارس. فالانجازات هذه قد تمت بمعظمها تبعاً لبرنامج معدّ سلفاً. فالاستطلاعات العالمية هامة جداً، وهذا ما قام به الاسكندر أيضاً فيها بعد. وقد أشار هيرودوتس إلى الرحلة البحرية الاستكشافية التي أقلمت من كارياندا من أجل التحضير للحملة على الهند وعلى النواحي الغربية. وقد قاد هذه الرحلة الطبيب ديموقدس^(٩٥) من مدينة كروتون^(٩٦). كما ساهم بنقل المعلومات أيضاً بعض التجار ممن لم تذكر الروايات أسماءهم^(٩٧). وفي زمن قورش أيضاً تمت الرحلات البحرية الجريئة، والمغامرة التي قام بها الفينيقيون زمن حيرام الثالث 534 ق. م من خليج العقبة باتجاه المشرق. وقد سجلت النقوش المكتشفة في بارايا في البرازيل أخبار هذه الرحلات الفينيقية^(٩٨). عدا جمع المعلومات الجغرافية والسياسية عن هذه المناطق، فقد اهتم جواسيس الملك «عيونه وآذانه»^(٩٩) بجمع المعلومات التاريخية المحلية إلى جانب المعلومات الدينية، وبمساعدة هذه المعلومات استطاع الحاكم التأثير في الحياة السياسية في الأقاليم التي خضعت لحكمه. وقد أشرنا إلى ما قام، أحد الكهنة المصريين من إطلاع قمبيز على ما يعرف من علم وأسرار. كذلك قام أكسرخص بنقل ما يعرف بمكتبة بيزيزتراتوس من أثينا^(١٠١) وفيها معلومات تاريخية هامة منها أحكام موسى^(١٠٢) ونصّ الإلياذة بما فيها من تفاصيل حروب أثينا في طروادة^(١٠٣). ففي طروادة استخلص أكسرخص من هيرودوتس وكذلك من قمبيز فائدة سياسية وأركيولوجية هامة. وقبل ذلك استطاع أن يستفيد من التاريخ أمثلة ذات أبعاد دعائية، إذ لدى فرزه لفرقه في ذلك المكان التاريخي عهد إلى الأبطال للتضحية بالكهنة والسحرة^(١٠٤)، وكان هؤلاء الأبطال قد

هوا آسيا ابان حروب طروادة وذلك ليثبت أنه الوريث الشرعي بالفعل. قد تكون الأفكار الهلنسية هي الباعث على هذه الاجراءات، ومع ذلك قد يمكننا توجيه نفس الاتهام إلى الأخصام؛ فالأثينيون قد اعتبروا في آدابهم حروب طروادة نموذجاً⁽¹⁰⁵⁾ لعب دوراً هاماً في الحروب الفاسية الراهنة. وفي أرغوس أيضاً يستعاد الماضي الميثولوجي من أجل إحياء الحياة السياسية حيث يقسم رسول أكسرخوس أنه يعود لنفس الجد برسوس⁽¹⁰⁶⁾. وبعد جيل من ذلك ذكّر بعض الرسل في حضرة ارتخششتا بهذه الصداقة القديمة طالباً تجديدها⁽¹⁰⁷⁾. وتطلعنا التقارير التوراتية المتعلقة ببناء الهيكل على هذا الرجوع الدائم الى التاريخ⁽¹⁰⁸⁾. ففي الشرق القديم كانت السجلات والدواوين مكاناً لحفظ الوثائق التاريخية والقضائية والإدارية، وكان الموظفون يديرون هذه السجلات ويسهلون للملك ولخاشيته الاطلاع عليها. إن الاحتفاظ بهذه السجلات في الأبراج⁽¹⁰⁹⁾ وفي المعابد⁽¹¹⁰⁾ لدليل على مدى اهتمام الحاكم وأفراد بلاطه بها بحيث كانت محجوبة عن الرعية. ومن الأدلة على ذلك ما نعرفه من سمي الإسكندر المتواصل على كتب الأخيني⁽¹¹¹⁾، وهذا ما يدل على أن التاريخ المحفوظ في الوثائق كان حكراً على الحكام يحفظونه ويحجبونه عن عامة الناس. وهذا لا يعني أن لا يكون للنبلأ أو للمجموعات الدينية والسياسية وثائقها الخاصة، كالجالية اليهودية - الآرامية⁽¹¹²⁾ أو الكهان⁽¹¹³⁾، أو حتى المتصوفون في بابل⁽¹¹⁴⁾، لقد حافظ هؤلاء على تقاليد تعود إلى زمن قديم جداً، بل إن الروايات التي تتعلق بالنبلأ قد تعود إلى مصادر ترقى إلى هيرودوتس⁽¹¹⁵⁾، الذي أعلن مراراً استناده إلى مصادر فارسية غير موحدة، وقد أسند بعض رواياته إلى لاجئين فرس في أثينا⁽¹¹⁶⁾. كما استند أيضاً في رواياته عن السلطة المركزية الملكية إلى أخبار الكثير من البيوتات النبيلة.

يشكّل «الكتاب الملكي» (العبارة باليونانية في الأصل)⁽¹¹⁷⁾ عصب الذين يعملون في الأرشيف الملكي، وتعتبر هذه المؤسسة وهي من خلق الأخيني، بمثابة جريدة تسجل فيها الأحداث الدائرة. وغالباً ما يرتبط الأرشيف بأشخاص: منه استقى أكسرخس خبر الخيانة الذي تعرض له مردخاي⁽¹¹⁸⁾، وفيه أيضاً سجل داريوس حُسن صنيعه تجاه الـ Sadeten⁽¹¹⁹⁾، وأخير سجل أكسرخس أيضاً أخبار المعارك التي قادها بجارته أمام سالاميس⁽¹²⁰⁾. لا شك أن في هذا التاريخ استفادة مباشرة ولا يمكن أن تبقى هذه السجلات سرية أو محجوبة لمدى طويل.

من هنا يبدو أن اليونانيين قد اطلعوا منذ وقت مبكر على هذه الكتابات، ومن هنا نفهم إصرار أ. موميكليانو (A. Momigliano) على وجود تأثير شرقي مباشر على الكتابات التاريخية وكتابات سير الأشخاص⁽¹²¹⁾، وما لا شك فيه أن هؤلاء الكتاب الملكيين تأثير مماثل، ثمة مجالين يتضح فيها مدى هذا التأثير: أولاً من خلال التأكيد على طابع الذكرى في رواية الحدث التاريخي، وهذا ما نشهده لدى هيرودوتس إذ جعل ذلك قاعدة في تأريخه، وحيث لا نجد الشروط التاريخية لتصور مرحلي للعالم - وهذا ما ينتقده موميكليانو⁽¹²²⁾ - بقدر ما نجد انطباعاً يتعلق بالفعالية وبالذقة، وفيما يتعلق بما له فائدة لدى اليونانيين المغلقين على ذاتهم. من

جهة ثانية تبدو كتابات التراجم التي نشأت لدى الأيونيين والتي تناولت عند هيرودوتس الأشخاص الثانويين الذين كانوا على علاقة ما بالأخمين⁽¹²³⁾، تبدو متأثرة بالتقارير التي ترد من جواسيس الملك (عيونه وآذانه). اعتبر اليونانيون أن لهذه التقارير دلالة تؤكد على شرعية السلطة الملكية، وبذلك تضمنت تفاصيل سياسية وأدبية وسجالية متنوعة عن أشخاص وشعوب مختلفة⁽¹²⁴⁾. هذا يعني أن هذه الروايات لم توضع لأهداف تؤكد على السلطة ولم تكن سرية بل أن لمضمونها دلالة « إنسانية » بحسب ذاتها وإطلاع العامة عليها كان تصرفاً ديموقراطياً. إن التاريخ، في المدينة - الدولة - هو بمثابة كل متكامل يكتسب معناه لا من خلال التأكيد على استكمال السيادة على البقعة الجغرافية المعروفة من العالم كما هو الحال بالنسبة للإخمين، بل حتى كون هذا الكل تحقيقاً لإمكانات بشرية وسط كثرة من الأحداث ومن الوقائع الأثنية الفنية بدلالاتها. إن ما جرى تحقيقه هنا كان بمثابة تنمية وعي سياسي نجد أولى مبادئه في النصوص الأثنية التي وضعها كتاب القرن الخامس، وقد تمثل ذلك من خلال المحاولة لإضفاء الوحدة على النظام الفارسي رغم تنوعه وتناقضه واختلاف الشرائع التي تتحكم بشعوبه، ومن خلال الإطلاع على نسبية هذا النظام ثم انتقاد الأوضاع الداخلية اليونانية ضمن إطار فكري⁽¹²⁵⁾. بذلك حولوا ما كان يعتبر في الشرق حقاً من حقوق الملك إلى ملكية علمية عامة⁽¹²⁶⁾ - ولكن بالطبع في ذلك الإطار الضيق الذي يسمح به لأعضاء المجتمع في المدينة الدولة.

كان التاريخ من أولى الوظائف التي تساعد على تبرير السيادة بالنسبة للسلطة المركزية. ولذلك يكتسب البعد اللاهوتي دلالة متميزة. من جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى الأشكال التي كان يتم بها تنصيب الملك من خلال تدخل الآلهي أو بمساعدة قوى غيبية، ولنا هنا أن نشير إلى الأدبيات التي عالجت هذه المسألة⁽¹²⁷⁾. ولكن ليسمح لنا هنا، فيما يخص المسائل المتعلقة بهذا المجال بتعليق خاص لنذكر - في ما يتعلق بمسألة تبرير داريوس لشرعيته - بالدور المميز الذي يمثله الحجاج التاريخي والصحافة السياسية كما نجدتهما في المصادر الأخمينية في تلك الفترة. بلغ الحكم زمن داريوس وبعد القضاء على تمرد جوماتا أقصى درجاته في سيورته تحوله إلى حكم مركزي قوي مما اقتضى إيجاد تبريرات من نوع مختلف، وقد أظهرت نقوش بهيستوم مدى الأهمية التي يعلقها داريوس على الدعاية السياسية: حيث يذكر بتأثير ذلك على القراء في كل مكان⁽¹²⁸⁾. فالنص قد كتب بلغات المملكة الثلاث، وقد وصلتنا منه أجزاء كتبت بالآرامية⁽¹²⁹⁾. وقد كُتب النص بكل الوسائل المتوفرة للكتابة⁽¹³⁰⁾ ووُزِعَ في كل أرجاء المملكة، وقد سعى النص والصور المرافقة للتأكيد على شهرة الحاكم وعلى التأثير في المستقبل⁽¹³¹⁾. إن تخطي الحاضر بالتأكيد على بعض الإجراءات المستقبلية كان دون شك من جملة ما استند إليه الملك، فقد روى هيرودوتس أن الفرس قد بدأوا منذ ذلك الوقت الاحتفال بمقتل جوماتا⁽¹³²⁾ حيث يظهر داريوس مروجاً لتقليد تاريخي. ومن الملفت للنظر أن يتم الاحتفال وسط فصل الحاكم عن شعبه بواسطة جماعة من المحرضين تظهر المتمردين جماعة مغرر بها. لقد تم استكمال الاحتفال بهذا العيد، سواء كان ذكرى بانتصار أو مناسبة للتخويف، بالوصية التي تركها داريوس لخليفته، فمن أجل تأمين البلاد في المستقبل لا بد من ملاحظة

المتمردين - الذين لا يخدمون سوى الكذب⁽¹³³⁾. فالتجربة التاريخية تتحول هنا إلى انذار. وللتأكيد على مدى تأثير هذه الصورة في التاريخ نذكر بما نجده من نقوش تمثل ارتحششتا الأول يعاقب شخصياً أحد أعدائه الرئيسيين⁽¹³⁴⁾.

إلى جانب التقرير عان أعمالها، يشير داريوس إلى وقائع أخرى خاصة تتعلق بشجرة نسبه⁽¹³⁵⁾. وقد تصدر ذلك بداية النقش. ورغم أن اثنين من أقربائه، والده وجده لم يكونا ملكين⁽¹³⁶⁾ فقد تجاوز ذلك رغم وجوب كونها ملوكاً حتى يصل كما يقول النص إلى الرقم 9⁽¹³⁶⁾. من جهة آخر فقد أولى صفات شجرة العائلة - آرية⁽¹³⁷⁾ وملكية - دلالة خاصة من أجل تبرير سيادته⁽¹³⁸⁾. ولكن وبالرغم من إصرار داريوس على أصله الأخيني - وهذا ما لا نجده عند قورش مع ما في ذلك من مفارقة واضحة - فإننا نجد الأسر الإيرانية اللاحقة - البارثيون⁽¹³⁹⁾ والساسانيون⁽¹⁴⁰⁾ وكذلك الاسكندر⁽¹⁴¹⁾ وملوك أرمينيا الصغار⁽¹⁴²⁾ إلى جانب كوماجين⁽¹⁴³⁾ ترتبط جميعاً بالجدّة الأعلى أخينوس وسائر أسرته. إلا أن رغبة الملك الجديد في تأكيد صلته النسبية تجاه الفرس إنما تهدف إرادته من خلال تقديم تقرير مفصل يبرر ما يقوم به. إن هذا المضمون العيني - حروب في شتى أنحاء المملكة والقضاء على التمرد - لا لزوم له فبالإمكان تركه جانباً. ولكن ما يلفت النظر، عدا بعض الزيادات التي اضيفت لاحقاً⁽¹⁴⁴⁾، هو أن يرى واضعه نفسه، بعد عام من وضعه⁽¹⁴⁵⁾ له، مضطراً لتقديم عرض للأحداث التاريخية من قبل السلطة يواجه به وجهات النظر المخالفة.

لقد كانت المقاومة وأعمال العنف التي ارتفعت بوجه داريوس كبيرة إلى حد دفعه لجعل الأشراف في حمايته، ومتابعة الاجراءات السياسية والاقتصادية لخلق دولة مركزية، وإلى اغراق الآمال الاجتماعية والدينية لاتباع جدماتا في بحر من الدم⁽¹⁴⁶⁾. لقد أشرنا إلى الأسباب التي تجعل من جوماتا أحد أتباع زرادشت⁽¹⁴⁷⁾ وهذا ما يجرنا مجدداً للسؤال القديم. هل كان الأخيون أيضاً من أتباع زرادشت⁽¹⁴⁸⁾؟ صحيح إن ذكر زرادشت قد ورد في وقت مبكر من حكم قورش 569 ق. م، طبقاً لأفضل المصادر⁽¹⁴⁹⁾ - إلا أن جاعته لم تحظ بدلالة إلا مع جوماتا⁽¹⁵⁰⁾. أخيراً نذكر أن الآلهة أهورا مزدا كان معبوداً حتى قبل الأخيين، وهذا ما يفسر وجود عقائد زرادشتية لديهم⁽¹⁵¹⁾ من ذلك عبادة النار، كما تشهد بعض الدلائل الأركيولوجية⁽¹⁵²⁾ والأدبية⁽¹⁵³⁾. صحيح إن الاحتجاج بتأليه أهورا مزدا وعبادة النار لا يؤكدان على أتباع الأخيين للزرادشتية ما لم يرافق ذلك التذكير بألمة أخرى: فقورش احتفل بتعظيم الآلهة موك⁽¹⁵⁴⁾ وقمبيز، بالرغم مما عرف عن هيروودوتس من ذلك في تناوله لرواياته⁽¹⁵⁵⁾، أدى شعائر الاحترام للاله آبيس وكان (تمثاله) بشكل ثور⁽¹⁵⁶⁾، وقد أسس داريوس معبداً لآمون⁽¹⁵⁷⁾ وعبد أبولو⁽¹⁵⁸⁾، كما ذكر في نقوشه آلمة أخرى⁽¹⁵⁹⁾. لا شك أن لتعدد العبادات هذه أبعاداً سياسية تهدف لاسترضاء الشعوب الواقعة في ظل الحكم، وقد لعب الاسكندر أيضاً الدور نفسه في سياسته الدينية إذ جعل إلى جانب الآلهة اليونانيين آلمة آخرين مثل ملكارت وآمون، مردوك وسارابيس، بل لقد ذهب إلى حدّ القبول بتقاليد السحرة وطقوسهم. أما لماذا لم تكن عبادة أهورا مزدا من قبل داريوس عبادة لها طابعها

السياسي؟ فلأن الطابع السياسي ظاهر في التقصي عن الحقيقة وفي ذم الكذب^(١٦٠)، وبذلك يتأكد التأثير الزرادشتي على داريوس وإن بشكل اغترابي كما أعتقد: فداريوس وجد نفسه على خصام مع جماعة جوماتا، إذ كان على صراع أيديولوجي معهم. صحيح أنه استطاع القضاء على زعيمهم لكنه لم يستطع القضاء على أيديولوجيتهم إلا من خلال تحريفها. كذلك يجب أن نقيس مدى نجاح إجراءاته من خلال الثقل الذي واجهه الاسكندر المقدوني جزاء الشر الذي يؤدي إليه «اتحاد التاج مع المذبح»^(١٦١).

يشكل مفهوم الحقيقة والكذب عصب العقيدة الزرادشتية وهما يحددان سلوكها السياسي والديني^(١٦٢). اعتبر داريوس الكذب عصباً لنا تجاه سلطة الحاكم^(١٦٣)، الذي يعترف بنفس الديانة التي يعترف بها الخصم، والتي يستخدم تعاليمها الأخلاقية من أجل تأمين سيادته - يشابه ذلك ما قام به غريغور الكبير عند توجيه النصيحة لأحد أساقفته كي يعلن التمسك ببعض التقاليد والمعايير الوثنية وتحويلها إلى مسيحية، أو ما قام به بشارك بتبنيه بعض مطالب الديموقراطيين الاشتراكيين هادفاً من ذلك لعزلهم. أما المطلب المقابل والذي يتعلق بأسطورة حب الفرس للحقيقة فمرده بالطبع هيروودوتس، ولكن لا بد من التوقف هنا كما في الوضع المقابل، إذ أنه عندما يتكلم عن الحقيقة فهو يعني الفضائل التي تفيد الدولة: أي الفضائل العسكرية - كالفرسية والقتال^(١٦٤)، ومن جهة أخرى مراعاة تقديم الضرائب في مواعيدها المحددة. هذا ما نفهمه من أقوال هيروودوتس عن الفرس حين يصفهم بالمهانة والكذب وتراكم الديون^(١٦٥). فالرواية هذه لا يكتمل معناها العيني إلا حين نضع كلمة داريوس مكان كلمة الفرس. وهيروودوتس بالذات ينعت داريوس بالتاجر^(١٦٦). ففي روايتين مختلفتين نجد علامات تدل على الطرق التي حاول فيها داريوس التقليل من خصمه: فمن الإجراءات التي قام بها جوماتا أشرنا إلى رفعه الضرائب والخدمة الإلزامية في الجيش لمدة ثلاث سنوات^(١٦٧)، وهذا ما كان يرهق فئات الشعب الفلاحية. وقد أشار داريوس كما يقول هيروودوتس في إجابته على المطالب الديمقراطية التي تقدم بها أوتان محتجاً على تفرد الحاكم بوضع الأحكام، إذ اعتبر نفسه أنه الواضع للقوانين^(١٦٨) وذلك من أجل تبريره للحكم الفردي.

إن التعبير الرمزي في المجال الديني عن هذه الظواهر نجده في صورة تقديم القرابين، حيث استعاض داريوس عن الكهنة عند باب المعبد كما هو الحال في القبور الميدية القديمة بصورة الحاكم بالذات، وهذا ما نجد في النقوش الأخوية. بل إن صورة الكهنة أو السحرة لا وجود لها إطلاقاً في المنحوتات المكتشفة في برسوبوليس^(١٦٩).

وبما أن «الحقيقة» هي بنظر داريوس من الفضائل التي يجب أن يتمتع بها الشعب، فإن باستطاعة الحاكم، أن يسمح لنفسه بالتوصل منها. فقد أورد هيروودوتس أحكاماً تشبه ما ورد عند ماكيافلي حيث يرر داريوس الكذب باعتباره طريق النجاح^(١٧٠). إلا أن ما تدركه من هذه الروايات يعتبر طريقة يونانية في التفكير السفسطائي أكثر مما يعتبر تصويراً لموقف تاريخي يراد له أن يكون نقشاً تبريراً: ففي صياغة أولى لهذا النقش - الصيغة الإلامية - نجد أن عدداً قليلاً من أنصار داريوس وحرسه قد ظل وفياً له. أما في الصيغة الأحدث - الصيغة الفارسية - فلا نجد ذكراً لهذه الواقعة^(١٧١). إن الاختلاس هو طريقة تاريخية. وبالتالي فإن النبلاء الستة

الذين قاوموا السلطة التي تم الاعتراف بها⁽¹⁷³⁾ والذين أخذت ممتلكاتهم وحيواناتهم والناس الذين كانوا بأمرهم⁽¹⁷⁴⁾، لا يظهرون بعد أن استطاع داريوس تثبيت حكمه إلا من ضمن رعيته⁽¹⁷⁵⁾. كان هيرودوتس على اطلاع على الصيغة القديمة من النقش، لا على الصيغة المعدلة: فالتأمرون الستة يأخذون داريوس ضمن مجموعتهم وقد اعترف هو لهم بهذا الجميل⁽¹⁷⁶⁾. طبعاً إن ما تتناساه هذه الوقائع التاريخية⁽¹⁷⁷⁾ هو ذلك الجهد الدعائي الضخم الذي قام به المغتصب⁽¹⁷⁸⁾.

تشابه هذه من حيث وظيفتها مع كل الأكاذيب التقليدية التي تظهر فيها الكتابات التاريخية التي مصدرها السلطة المركزية مجرد محاولات تبريرية. وبعض الأمثلة من التاريخ القادم شاهد على ما نقول: ففي الروايات المصرية يتوازي ما يعرف بتوحيد البلاد مع احتلال القسم الشمالي من مصر من قبل القسم الجنوبي⁽¹⁷⁹⁾. إن نشوء وعي هليني خلال الحرب الفارسية ترافق مع الأسباب والتناقضات الاجتماعية التي أدت إلى التوسع⁽¹⁸⁰⁾. وهنا يشار إلى ما سينييسا (Massinissa) الذي استطاع توحيد نوميديا وإرساء الزراعة فيها، وذلك بالتأكيد على خلق مجالات عمل زراعي. وقد استطاع أن يوحد الأرض وأن يستغلها⁽¹⁸¹⁾. كذلك تجدر الإشارة إلى جهود سليمان الذي اعتبر داوود مثله الأعلى⁽¹⁸²⁾، وأخيراً، ولكي ننهي البحث بنوع من البرهان الفلسفي نشير إلى أفلاطون لذي بنى فلسفته في الصراع الطبقي على كذبة لا تستقيم دولته المثالية دونها⁽¹⁸³⁾. فإذا تمّ القبول بهذه الكذبة صبح القبول بما بنى عليها مقبولاً وصحيحاً.

أما ما يتوجب على العالم الباحث عن الحقيقة تجنبه من تأنيب للضمير ومن مشاق، فذلك ما يظهره أرسطو، تلميذ أفلاطون، الذي اعتقد بخلاف كل علم - وربما بعد اطلاعه على نظرية انطيفون⁽¹⁸⁴⁾ - أن العبودية ضرورة لا بد منها، وذلك باعتباره العلاقات التاريخية سواء كانت اقتصادية قضائية أو خلافاً علاقات طبيعية⁽¹⁸⁵⁾، وبذلك يصل أرسطو إلى النقطة التي تعتبر أن للتناقضات الاجتماعية أسباباً انتولوجية⁽¹⁸⁶⁾. وكذلك يظهر التاريخ الأخيني بصورة مماثلة، إذ اعتبر حكمه المركزي لتلك الدولة الواسعة واستمرار سيطرته عليها « حقيقة » أرادها الله ولها تبريرها القبلي، مقابل اعتبار كل شكل من أشكال المقاومة « كذبة » يجب تسويتها.

الحواشي

W.Hinz, *Altiranische Funde und Forschungen*, Berlin 1969, 63 ff. (1)

J.Harmatta, *Acta Iranica* 1, 1974, 29ff. (2)

E. Reiner, *Rev. Assyriol.* 67, 1973, 57ff. W.M. Summer, *Iran* 12, 1974, 155 ff. (3)

D.J. Wiseman, *Iraq* 20, 1958, 1 ff. R.M. Boehmer, *Berl. Jbb. f. Vorund Frühgesch.* 5, 1965, 187ff. L.D. Levine 12, 1974, 106ff. D.Stronach, *Iraq* 36, 1974, 239ff. R.Ghishman, *Terrasses Sacrés de Bard-e Nechbandeb et Masjid-i-Solaiman*, Paris 1976, I 149ff. (4)

Xenophon, *Cyrup.* I 2,4. N.Adontz, *Armenia in the Period of Justinian. The Political Conditions Based upon the Naxarar System* (ed. N.Garsolan), Lissabon 1970, 294ff. und 479. (5)

- I.V. Pyankov, *VDI* 1971, Nr. 117, 16ff. (6)
- Plinius *NH* 6, 115: regio ibi maritima Cyropolis... appellatur (H. Rackham, Loeb Class. Library). (7)
- حول المدن والاحداث الادارية التي تتعلق بها. راجع البحث الذي نشرناه بعنوان: (8)
- Ziele und Formen Königlich vorislamischen Iran. (9)
- Iustin I 7,7 und Ktesia 688 FGH F9 S. 456. Vg. auch Agathokles von Kyzikos (472 FGH F6). (9)
- Xenophon, *Cyrup.* VIII 6, 1 ff. (10)
- F. Altheim-R. Stiehl, *Die aramaische Sprache unter den Achämeniden I*, Frankfurt 1963, 75ff. E. Posner, *Archives in the Ancient World*, Cambridge/Mass, 1972. (11)
- J. Harmatta, *Acta Antiqua* 19, 1971, 12. (12)
- M.A. Dandamaev, in *FW W. Eilers*, Wiesbaden 1967, 41. (13)
- مصادر عامة عن جوماتا: (14)
- A.T. Olmstead, *History of the Persian Empire*, Chicago 1948 (1970) p. 107.
- R.G. Kent, *Old Persian = American Oriental Series* (سيشار اليه لاحقاً) ومن المصادر الأخرى النقش الذي يعرف بنقش بهستوم وسيشار اليه لاحقاً (15)
- D.B 33, New Haven 1953, p. 116).
- بخصوص الضرائب راجع هيروودوتس (III - 67,3) اما اعتبار هيروودوتس تمرد جوماتا بمثابة حركة قومية ميدية وهذا ما أيده مؤخراً R.Ghirshmann فلا ينسجم مع ما جاء في نقش بهستوم، والذي يتحدث عن حركات أخرى سالفه على تمرد جوماتا ويعتبرها حركات قومية فيما يتر على تمرد جوماتا بشكل عام.
- M.A. Dandamev, *Iran pri perrych Achemenidach*, Moskau 1963, 121 ff. (non vidi); ders., in: *Beiträger zur Achämenidengeschichte*, hrsg. v. G.Waiser, Wiesbaden 1972, 17. (15)
- F.Altheim-R.Stiehl: *Supplementum Aramaicum – Baden – Baden* (16)
- ولنفس المؤلف. 1957, 52.
- Gschichte Mittelasiens im Alterium – Berlin 1970. 31-33.
- أما مراجعة هذا الكتاب من قبل R.Schmitt وانتقاداته حول ما جاء عن جوماتا فليس لها ما يبررها. قابل:
- W.Hinz, *Altiranisches Sprachgut in ebenußerlieferungen*, Wiesbaden 1975, 1861.
- O.Klima, *Mazdak*, Prag 1957. Zum Weiterleben mazdakitischer Forderungen vgl. G.H. Sadighi, *Les mouvements religieux Iraniens au 2ème et au 3ème siècle de l'hégire*, Thèse 1938. (17)
- Herodot III 79. (18)
- J.Ducat, *Annales ESC* 29, 1974, 145 ff. (19)
- A. Cowley, *Aramaic Papyri of the fifth cent. BC.*, Oxford 1923, 258. (20)
- Siehe Anm. 8. (21)
- Dandamaev, *VDI* 1973 (3), 3ff. Ders., *Altorientalische Forschungen* 2, 1975, 71ff. (22)
- W.Hinz, *Neue Wege im Altpersischen*, Wiesbaden 1973, 78 f. (23)
- Plinius *NH* 6, 116. (24)
- Vgl. Herodot IV 204 und hier Anm. 8. (25)
- DB* I 36-38. (26)
- Monumenta Talmudica* II, Bearb. V.S. Gändz, Wien-Leipzig 1913-1922, 195 Nr. 475. (27)
- R.Labat, *Un calendrier babylonien des travaux, des signes et des mois*, Paris 1965, III § 43. (28)
- Labat, a.a. O., 235. (29)
- Bailey, *JRAS* 1970, 62. Vg. Y.Daher, *Agricultura Anatolica*, Helsinki 1970, 124: kanand = Hacke, Schaufel, zum Ausheben von Gräben. (30)
- Hinz, *Neue Wege* 65 und 70. (31)

- (32) Althelm – Stiehl, *Aramäische Sprache* 86.
- حول الانتشار المبكر للكتابات الآرامية في ميديا، راجع ثلاث قطع معدنية مكتشفة في لوريستان وعليها كتابات آرامية تشير إلى مالكيها بين سنة 800 و 600 ق م. (A. Dupont – Sommer, *Iranica Antiqua* 4, 1964, 108ff).
- (33) حول العمل الإلزامي للأحداث في بناء الأتربة وتسوية الأراضي الزراعية في مملكة رواسخيني: (F.W. Köhlig, *Handbuch der Chaldischen Inschriften* Graz. 1955, 142 Nr 121).
- (34) C. Cahen, *Der Islam I* = *Fischer Weltgeschichte* 14, Frankfurt 1968, 137 f.
- (35) حول تأثير الاملاح ومدى انتشارها من خلال نظام الري راجع: T.Jacobsen – R.M. Adams, *Science* 128, No. 3334 1958. 1257.
- (36) G.Widengren, *Die Religionen Irans*, Stuttgart 1965, 140.
- (37) DB I 64 f.
- (38) راجع اعلاه هامش رقم 9 ورقم 13.
- (39) DB I 64: adam nlyacařayam.
- (40) Widengren, a.a. O., 203 f.
- (41) Widengren, a.a. O., 140.
- (42) حول شجرة عائلة داريوس راجع ما سيرد فيما بعد، كذلك دراسة J.Wiesehofer التي قدمها في ميستر. بخصوص هذه المسألة المتعلقة بالنسب تصبح التسمية اخينية بعد ذاتها مثيرا لسئلة، إذ لم يتعرض لها سوى داريوس، أما قورش فلم يذكر اخينس في معرض التأريخ لنفسه.
- (43) راجع ادناه هامش 100.
- (44) ادخل هزيبود إلى اليونان صورة «الملوك الذين يأكلون الهدايا». من الملفت للنظر أن تكون الصين في القرن السادس قبل الميلاد قد ادخلت نظام الضرائب المحدودة بدل نظام العطايا (H.Franke, *Das chinesische Kaiserreich* = *Fischer Weltgeschichte* 19 Frankfurt 1968, 44). كذلك يمكننا البرهنة على وجود مثل هذه الاجراءات الجذرية الاقتصادية في الدول المركزية في الشرق الأقصى وفي الصين: مثل الاقلاع عن قتل الأسرى والاستماعة عن ذلك باستخدامهم في اشغال الأرض. واجراءات داريوس ربما كانت تقليدا لما بدأه الأخوريون. هكذا أرسل المقتصب سارجون الثاني (721-705) 6300 أسيراً، كان قد أعد القبر لهم إلى ما (Hama) راجع: (P. Garelli in: *La voix de l'opposition en Mesopotamie*, Colloque Ins., Hautes Etudes, Brüssel, 1973, 207).
- كذلك استبدل شايك معاصر سارجون الحكم بالموت بالعمل الإلزامي. راجع: (Diodor I 60, 3-5).
- وفي الصين نصع مورقي في القرن الخامس باجراءات ماثلة، وذلك لأسباب انسانية وكأستثمار للقوى العاملة بنفس الوقت. راجع: (Gegen den Krieg, hrsg. v. H.Schmidt – Giltner, Dusseldorf 1975, II 55ff).
- (45) أشار ج. اردنت إلى استخدام داريوس للسياسة النقدية معتبراً ذلك «استخداماً من قبل الدولة للاقتصاد النقدي». وقد دلت الاكتشافات على استخدام النقود منذ وقت مبكر في ميديا بحيث يبدو استعمال الاخيين للنقود امتداداً لما كان موجوداً. راجع: G.Ardant: *Histoire de l'Impôt I*, Paris
- (46) يعتبر ذلك وصفاً لأولية الاجراءات الاقتصادية عند الملوك الكبار. راجع: Aristoteles, *Oec.* II 2 (1345 b 12 – b 26). Althelm – Stiehl, *Aramäische Sprache* 137 f.
- (47) M.A. Dandamaev, in: *FS Althelm I*, Berlin 1969, 89.
- (48) Ed. Meyer, *Kleine Schriften II*, Halle 1924, 98.
- (49) Althelm-Stiehl, *Aramäische Sprache* 135.
- (50) حول ماهية القوانين. راجع:
- A.Saml, *Barrasiñā – ye Tarikhī* 1350 (1971) 253, Bucci, *Rer. Intern. des Droits de l'antiquité* 22. 1975.
- (51) Nach A. Heuß, in: *Propyläen-Weltgeschichte* 2. Hochkulturen des mittleren und östlichen Asiens, Berlin 1962, 19. –

Ikonographie der "vier Monarchien": E.Kramer, *Keramos* 28, 1965, 3 ff.

(52) جرى التأريخ للفلاسفة اليونان قبل سقراط من قبل مؤرخي الشرق المسيحيين تبعاً لتقوم الملوك الاخمينيين. راجع على سبيل المثال:

(Eutychlos v. Alexandria ed. Chelkho FGH 260 FI, p 856).

في:

H.Diels – W.Kranz, Die Fragmente der Vorsokratiker Berlin 1959. Index SRR. Dareios, xerxes, Artaxerxes.

J.Irmscher in: E.Ch. Welskopf, Hellenische Poets 3, Berlin 1973. 1644 ff.

H.Fuchs, *Der geistige Widerstand gegen Rom in der antiken Welt*, Berlin², 62 ff.; D.Flusser, *The Four Empires in the Fourth Sibil and the Book of Daniel*, *Israel Oriental Studies* 2, 1972 (= FS für S.M. Stern), 148 ff. (53)

Herodot 1 95 und 130, 1. (54)

S.Luria, *Anfänge griechischen Denkens*, Berlin 1963, 122 mit Anm. 294. (55)

Plutarch, *de maligen*, Herodoti 862 a. D.Metzler, Porträt und Gesellschaft, Münster 1971, 274 f. (56)

Flusser 173 f. (57)

F.Jacoby, FGH 678 a Nr. 1 und 6 – von Flusser (154) und seinen Vorgängern übersehen. (58)

So von Flusser (154) vermutet. (59)

J.W. Swain, *Class.Philology* 25, 1940, 6. (60)

(61) من الملفت للنظر ان يزدهر البحث التاريخي ابان حكم الملوك الأشوريين في القرن السابع قبل الميلاد. (مكتبة اشوربانيال - خارطة العالم ايام سرجون الأول محفوظة في المتحف البريطاني رقم 29687) هكذا يبدو الطموح لحكم العالم مستنداً الى نماذج تاريخية سالفه. راجع:

J.Othomson, *History of Ancient Geography*, Cambridge 1948, 39 Taf. IAO.Tomson.

Anzeige von C.B.F. Walker, *Iran* 10, 1972, 159. J.B. Nies-C.E. Keiser, *Babylonian Inscriptions in the Collection of J.B. Nies*, New Haven 1920, II Taf. 21 Nr. 32. (62)

F.H. Welßbach, *Die Kellinschriften der Achämeniden*, Leipzig 1911, 3 ff. Zellen 12 und 20; J.B. Pritchard, *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, Princeton¹ 1969, 315. (63)

(64) حول تأثير الأشوريين في الاخمينيين، وحول ما دخل التمثيل السياسي لدى الاخمينيين من عناصر آشورية، راجع:

J. Harmetta: *Acta Iranica* 1, 1974, 29 Calmeyer, ZDMG 123, 1973. 175ff.

Pritchard 313. (Brit. Mus. 38 299). (65)

Herodot 1 110, 1-3. G.Binder, *Die Aussetzung des Königskindes. Kyros und Romulus*, Melsenheim 1964, 17 ff. (66)

Herodot 1 107 f. (67)

Herodot III 1 ff. vgl. 177 und I 153; Jesaja 45, 14. (68)

D. Stronach, *Bastan Chenasi va Honar-e Iran* 7 (1971), 18 A.A. Sarfaraz, cdb. 22 ff. (69)

(70) قابل مع المكتشفات التي لم تنشر بعد في جزيرة قشم، منطقة بندر عباس.

G.Bibby, *Kumli* 1964 88.

راجع:
(لوحه 2)

S. Matheson, *Persia, An Archaeological Guide*, London, 1972, 249 f.

(71) نظر الاخمينيون الى مفهوم - كما هو الحال في القديم - بأشكال مختلفة. أحياناً يعتبرون الزمن التاريخي وفي أحيان أخرى لا يعينهم إلا تعاقب الايام (تعاقب الأزمان). هكذا نجد في المنتوشات وعلى الاختام عرضاً للملوك الى جانب بعضهم في صراع مع الأسود أو مع الجبابرة الأسطوريين وأحياناً نجد مشاهد تاريخية. راجع الى جانب الملاحظة رقم 77.

F. Althelm – R. Stiehl, *Geschichte Mittelasiens* 10, 13, 26-72.

(72) تجدر الاشارة الى قدم هذه النظرية اذ تعود الى سنة 1919 وقد أشار اليها رادت في دراسته. كذلك لا يمكن الأخذ بتأثير فينيقي بمجرد وجود اشارات فينيقية على رسوم التاج ولا يمكن الجزم ان قورش قد مد سلطته على المدن الفينيقية بعد احتلاله بابل. اذ ان هذه الاشارات تبدو أيضاً في النقوش المصرية. راجع على التوالي:

R.Ghirshmann, *Iran – Protoiranien, Meder, Achämeniden*, München 1964.

- I. Abu Bakr, Untersuchungen über die Agyptischen Kronen, Diss. Berlin 1937 63 ff.
Ghirshman Abb. 179 (73)
- نماذج مصرية في تقسيم بناء القصور الملكية في برسبوليس. راجع: (74)
- G.de Francovich, East and West 16 (1966) 216. G. Gropp, Archäol. Mitteil. Iran 4 (1971) 35 ff.
مخصص الوظيفة التي أوكلت بالمراسم الاحتفالية على هامش الاحتفال بذكرى وفيات الملوك: (75)
- راجع: (76)
- G. Haeny, Basilikale Anlagen in der Bankunst des Neuen Reiches, Wiesbaden 1970 6 ff.
من الملفت للنظر أن تحوي هذه النقوش صوراً لربه الخصب، وربة الأزهار وهذا ما كان شائعاً في سوريا، أي في المكان المشهور بشأه على ما جاء في رسالة لداريوس. راجع: (77)
- W. Wolf: Die Kunst Ägyptens, Stuttgart 1957. 477. F. Löchner – Hüttenbach bei W. Brandenstein. – M. Mayrhofer: Handbuch des Altpersischen. Wiesbaden 1964. 91 ff.
قابل بين الحافز لدى ملوك الآشوريين المتمثل بورق الكرمة وبين ما أوجده داريوس إذ حفر له تيودور من ساموس صورة تمثل شجرة دلب ذهبية وكروم عنب. راجع: (78)
- Yacobsthal, Ornamente griechischer Vasen, Berlin 1926. 104. V. Zinserling, Acta Iranica 15, 1967. 291.
وحول الجنائن الملكية عامة راجع: (79)
- Th. Finkenstedt in: Wandlungen des Paradiesischen und des Utopischen = Probleme der Kunstwissenschaft 2. (1966) 183 ff.
نفس المرجع اعلاه قابل هامش 98 (80)
- E. Otto, Die biographischen Inschriften der ägyptischen Spätzeit, 1954, 169 ff.
حول الجديد عن قورش الكبير، خاصة في السنين العشر الأخيرة من حكمه. (81)
- راجع: (82)
- Festschrift aus Anlass der Gründung... hrsg der Deutsch – Iranischen Gesellschaft, Köln 1971. II F.
Herodot III 106-116, dazu H.R. Immerwahr, Form and Thought in Herodotus, Cleveland 1966, 172. Vgl. auch unten Anm. 137. (83)
- Vgl. F.C. Andreas, in: *Verbandl. d. XIII Oriental. Kongress*, Hamburg 1902. M. Mayrhofer, in: *FS A. Scherer*, Heidelberg 1971, 59. (84)
- Darius-Inschrift von Naqs-e Rostem (DNa 14 und 18 = KENT A.A. O., 137 f.). (85)
- ان اللائحة المعروفة باسم Satrapien تشير الى شعوب لا الى اقليم راجع: (86)
- G.C. Cameron, JNES 32, 1973, 47 ff.
راجع هامش 61 و 80. (87)
- أشار هيرودوتس الى النزعة التوسعية لدى حكام الفرس. إلا أن المصادر الأولية الاخينية تشير ان هذه السياسة كانت مقصودة. (88)
- Herodot II 16-17. (89)
- A. Deman, *Lutte des classes et nationalise dans la Grèce des guerres médiques*, Thèse Université Libre, Brüssel 1965. (90)
- Immerwahr 102 f. und 172. (91)
- أشار هيرودوتس الى النزعة التوسعية لدى حكام الفرس. إلا أن المصادر الأولية الاخينية تشير ان هذه السياسة كانت مقصودة. (92)
- Ghirshman Abb. 220 ff.; G. Walser, *Die Völkerschaften auf den Reliefs von Persepolis*, Berlin 1966; W. Hinz, *Altiranische Funde und Forschungen*, Berlin 1969, 95 ff.
Altheim-Stiehl, *Aramäische Sprache* 174 ff., vgl. DSF 29-55. = Kent, a.a.O., 143 f. Vgl. liturgische Aspekte imperialen Bauens in Rom (*Gnomon* 40 [J.Röder] und Laktanz, *de mort. pers.* 7,8).

- Ghirshman Abb. 246 und 279. (93)
- DNa 41 = Kent, a.a.O., 137 f. (94)
- H.J. Schnitzler in: Antike und Universalgeschichte, FS H.E. Stier Münster 1972. 71. (95)
- Prokonnesos. نقلاً عن هيرودوتس الذي اعتبر بحر قزوين بحراً متوسطاً - ربما استناداً منه على كتابات بروكونسوس. (96)
- من الملفت للنظر أن نجد عدداً كبيراً من الأطباء الذين ساهموا في اكتشاف إيران - سواء في العهد الأخميني أو بعده - قالى جانب اليونانيين بوليكرتوس - وديموقوس وكتيسيا يشار الى برزويه طبيب كسري اوف - برنية الذي اعتبرت تقاريره عن الهند وبلاد فارس بمثابة نقطة انطلاق الكتابات الماركسية حول نمط الانتاج الآسيوي. نظراً لملاحظاتهم العلمية والمنهجية كان الأطباء مؤهلين للعب هذا الدور. والأوصاف الانثوية - الجغرافية التي قدمها ابقراط تعطي تصوراً عن الطريقة التي قام بها الأطباء في أبحاثهم. والى الأصل المشترك للكتابة التاريخية والعلوم البحتة أشار ك. فريتز. راجع. (97)
- K.V. Fritz, Philosophia Naturalis 2 - 1953 - 201-376. (98)
- Herodot IV 4und III 129 ff. (99)
- Xenophon, Hipp. IV 6 f. المصادر التي تؤيد صحة هذا النقش: (100)
- A.Van den Branden, Melto 4 1968. 55.
- L.Delekat, Phönizier in Amerika, Bonn 1969.
- A.L. Oppenheim, the Eyes of the Lord in: FS fül E.A. Speier New Haven 1968-173. كذلك حول مراقبة الأمراء الميديين من قبل الجواسيس والعمال. راجع: (101)
- P.Grelot, Documents araméens d'Egypte, Paris 1970. 403.
- Aulus Gellius, Noctes Atticae 7, 17. J. Platthy, Sources on the Earliest Greek Libraries, Amsterdam 1968, 100 Nr. 8. (102)
- Herodot III 6,3. (103)
- Herodot VII 6, 3. Platthy 97. Nr. 2. 3. 6.
- بما ان الكتابات التي وضعها هوميروس كانت تعتبر في اليونان القديمة بمثابة مصدر تاريخي، فقد أعلن هيرودوتس أن سيكون قد منع من انتقاد اشعار هوميروس ذلك ان خصمه أرغوس كان بجلاً فيها. (104)
- Herodot VII 42. A.T. Olmstead, History of the Persian Empire, Chikago 1948 (1970) 250. 496.
- ان الزيارات الاحتفالية التي كان يقوم بها ملوك الشرق ليست بالضرورة نقلاً عما كان سائداً لدى اليونانيين. فقد نقل عن قمير قيامه بذلك. وكذلك فعل الاسكندر في بلاد ما بين النهرين حين زار قبور الملوك هناك (105)
- F.Jacoby, Hesperia 14 (1945), 185 ff., bes. 203. Vgl. Herodot V 94, 2; VII 161, 3. (106)
- Herodot VII 150. (107)
- Herodot VII 151. (108)
- Esra 4, ff. 6, I ff. Vgl. P.R. Berger, Ugarit-Forschungen 2 (1970), 338. (109)
- POSNER 41, 46, 115.
- تعتبر المعابد والأماكن المقدسة مكاناً أميناً ودائماً. وهناك كانت تحفظ التقارير التي تحوي وقائع هامة. في العهد الساساني كانت المعابد الذي تضم الأرشيف منتشرة في عدة أماكن. وقد أشار المسعودي الى احداها. اسطرخ - (راجع المسعودي تنبيه ج 45-11 ص 106).
- وبالمقابل كانت الافسا أيضاً عهد الاخمينيين محفوظة في أماكن مشابهة. راجع. (110)
- F.Altheim, Aus Spätantike und Christentum, Tübingen 1951, 98.
- حزة 45-11 تابع. (111)
- «ثم تفرغ لتتابع كتب دينهم».
- ان الأرشيف التاريخي كان موجوداً حتى في المدرسة التلمودية البابلية. وبداية ذلك ترقى الى عهد أبعد، راجع: (112)

B Porten, Archives from Elephantine, Berkeley – Los Angeles 1968.

Encyclopaedia Judaica, Sv. Archives Sp. 376.

(113) يتوجب علينا التفكير بالدرجة الأولى في المكان الذي حفظت فيه نصوص الاقيستا. (راجع هامش 110). هذا وقد قِيم أنصار جوماتا هذا الأرشيف حق قيمته. صحيح أنهم أحرقوا المعلومات التي وجدوها في الأرشيف في جبال اركادريش إنما كان الهدف القضاء على السجلات التي تضم لوائح بأسماء النبلاء الملاكين للأراضي. وذلك بهدف القضاء على ادعاء هؤلاء بحق ملكية الأراضي. وقد حدث اجراء مماثل في القرن الثاني قبل الميلاد في ديمي Dyme وكذلك عام ١٥٣٤ في مدينة مبنستر. راجع على التوالي A.Momigliano, the Development of Greek

Biography. Cambridge/Mass. 1971. 30.

M.L. Wert, Early Greek Philosophie and the Orient, Oxford 1971. 165.

G. Brendler, Das Taufereich Zu Münster 1534/35 Berlin 1966-121.

D.B. Welsberg, Guld Structure and Political Allegiance in Early Achaemenid Mesopotamia, New Haven 1967. (114)

(113) راجع هامش رقم ١٦٠.

Herodot III 160, 2. (116)

Esther 6, 1. Vg. A. Cameron, Dumb Oaks Papers 23/24, 1969/70, 162 f. (117)

Esther 6, 1 zu 2, 21 ff. (118)

(119) راجع هامش ٧٦. Lochner – Hüttenbach.

Herodot VIII 85, 3. (120)

ربما كان اطلاع اليونانيين على هذه الكتابات قد تم مؤخراً على يد سيلوسون من ساموس والذي على ما يظهر قد قدم خدمات جلي عندما خدم كضابط في الجيش المتوجه الى مصر، بحيث قدم له مقبر عبائه الخاصة. وبعد نجاح سيلوسون ترك له داريوس ادارة ساموس - وبالطبع لم يعتبر هذا الكتاب من المقتنيات الملكية إلا بعد أن تولي داريوس العرش.

A. Momigliano, Fattori orientali della storiografia... greca, in: Persia e il mondo Greco-Romano, Acc. Naz. Linc. (121)
Atti, Rom 1966, 124 f.; ders. Development 33 ff.

Momigliano, Development 33 ff. (122)

Momigliano, Development 33 ff. (123). (123)

(124) هنا يتوجب علي أن اعدل في النتائج التي توصلت اليها في كتابات سابقة، اذ يبدو لي أن التأثير الشرقي أكبر مما كنت اعتقد في وقت سابق.

(125) نجد أمثلة على ذلك فيما كتبه ميرودوتس. راجع أيضاً.

K. Müller, Geschichte der antiken ethnographie und ethnologischen Theoriebildung, Wiesbaden 1972. 124 f.

(126) تدخل دلالة الاقتصاد هذه ضمن الاشارات القليلة حول الاقتصاد الزراعي زمن الاخمينيين والتي تقوم على وجود مدبر أو مشرف يتولى معالجة المنشآت الزراعية.

Oecon I. 6, 3. 11344 b 34. راجع الكتاب المنسوب لأرسطو:

The Sacral Kingship, Dupplements to Numen IV, Leiden 1959, 242 ff, mit älterer Literatur; H.P. L'Orange, Studies (127)
on the Iconography of Cosmic Kingship, Oslo 1953, passim; F. von Sachsen-Meinungen, Proskynese in Iran, in: F. Altheim, Geschichte der Hunnen 2, Berlin 1960, 125 ff. R.N. Fyfe, Iranica Antiqua 4, 1964, 36 ff.

DB IV 54 f. (Voik) 70 ff. (Nachfolger) und 91 f. (Satrapien). (128)

A. Cowley, Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C., Oxford 1923, 248 ff. (129)

DB IV 89 f. (130)

Herodot, III 79. Ktesias (688 FGH F 13, 18 p. 461). (132) (131)

DB IV 36-40. (133)

C. Lenormant, Gaz. Archéol, 1877, 185 ff.; Olmstead (siehe Anm. 14) 312 Anm. 24. (134)

- DB IV 90 f. (135)
- Herodot I 209 f. und III 70, 3. DSf 12 ff. = Kent, a.a.O., 142 und 150. (136)
- DB I 9 f. (136a)
- حول تعصب ايران القديمة راجع مع جاء في الفصل الرابع عشر من كتاب بوندهش (Bundehesch) « سمي الايرانيون بهذا الاسم لأنهم من عرق أكثر نبلاً من الاعراق السنة الأخرى التي تحيط بالأرض » . (137)
- D. Monchi – Sadeh, Topographisch – historische Studien Zum iranischen Nationalepos, Wiesbaden 1975, 97.
- DB I 7 ff. DNa 14 f. DSe 13 f. = Kent, a.a.O., 177, 137, 141. – Vgl. oben Anm. 42. (138)
- Synkellos 284 B-C (bei Photios I 58), J. Woiski, in: *Beiträge zur Alten Geschichte und deren Nachleben, Festschrift für Fran-ALTHEIM*, I, Berlin 1969, 321 – Vgl. auch Hamza 42: Rache des Arsakes für Dar. (139)
- الطبري. نقلاً عن ترجمة نولدكه. ليدن 1879. ص 20. (140)
- يعد الزواج من ابنة داريوس الثالث اعتبر الأسكندر في الحقبة الفارسية من الأخيين. وقد استعمل التقويم السلجوقي في تسجيل الأحداث بعد وفاة الأسكندر. وبذلك ابتدأ ما يعرف في التاريخ الفارس باسم ملوك الطوائف. (141)
- G. Sarkissian, in: *Studien sur Geschichte und Philosophie des Altertums*, hrsg. v.J.Harmatta, Amsterdam 1968, 292. (142)
- F.K. Dörner, *Istanb. Mitteil.* 17, 1967, 205. (143)
- DB V 1 ff. (144)
- DB IV 60. (145)
- Vg. Altheim-Stiehl, *Aramäische Sprache* 91 und 98. (146)
- راجع أعلاه هامش رقم 6. (147)
- Vg. zuletzt etwa J. Duchesne-Guillemin, *Acta Antiqua* 19, 1971, 25 ff. (148)
- حول تأكيد مفهوم التاريخ الاسكندري وتأكيده من قبل مصادر فارسية وصينية، نشر الى ان المصادر العربية قد أكدت أيضاً صحته وهذا ما أكدته المستشرق شولر بالرغم من النقد الذي قدمه د. شميدت. راجع على التوالي. (149)
- Zend – Avesta, Ouvrage de Zoroastre I. Paris 1771, 6-60 B. Spuler: *Archäol. Mitteil.* aus Iran, NF4, 1971, 113ff.
- R.Schmitts.: 01kcot agdw/35
- Barhebraeus, *hisi, dynast.* 83 (Pocock.), zit. nach Altheim-Sdtiehl, *Geschichte Mittlasiens* 26. (150)
- E.A. Gratonvsky, in: *Istorijsa Iranskogo Gosudarstva i Kulturijs*, hrsg. von B.G. Gafurov, Moskau 1971, 305 f. und 348. (151)
- ثمة اكتشافات حديثة جرى استخراجها من نوشيجان – راجع (152)
- VI L مع اللوحة D.Stronach Iran 9 (1971) 175
- Eutychios ed. Cheiko I 76, 9 f. (nach Altheim-Stiehl, *Supp. Aramaicum* 51). (153)
- 3ff. (راجع هامش 36) WeiBbach (154)
- Herodot III 29 und 37. D. Metzler, in: *Bildersturm. Die Zerstörung des Kunstwerkes*, hrsg. von M. Warnke, München 1973, 22. (155)
- F.K. Kienitz, *Die politische Geschichte Agyptens vom 7. bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitenwende*, Berlin 1953, 58. (156)
- Kienitz 61 f.
- هامش رقم 76 قابل. (158)
- Herodot VI 118.
- G.Cousin – G. Deschamps, BCH. 13, 1889, 539.
- الى جانب عبادة ميترا ثمة عبادة لآلهة أخرى كما تشير اللوائح المكتشفة في برسبوليس. كذلك تشير الروايات اليهودية الى وجد معبد زمن داريوس في سوس، واسمه معبد انا هيتا. وفي اليونان اعتبر اليونانيون ان داريوس يقدر الاله زفس. وفي بابل يتحاشى داريوس كما يستفاد من الكتابات المكتشفة في تبرير حكمه، يتحاشى الاشارة الى اهدرا مزداً كي لا يجرح شعور أهل بابل. راجع على التوالي. (159)
- J. Duchesne – Guillemin, in: *Beiträge Zur Achämenidengeschichte*, hrsg von G. Walser = *Historia Einzelschriften* 18, 1972, 68.

- Neutestam. Apokryphen hrsg. von E. Hennecke Tübingen 1971 II 532. (160)
- DB I 34 und IV 34 mit IV 38, 63, 68. (161)
- Altheim-Stiehl, *Geschichte Mittelasiens* 32 und 62. (161)
- Vg. etwa Gathas, *Yasna* 32. (161)
- في الأحادية تعني كلمة (ساروم) كاذب كما تعني أيضاً منمرد. راجع: (163)
- Klíma, Mazdak 53. (146)
- Herodot I 136, 2. (146)
- من الملفت للنظر أن نجد في الدولة المركزية إنكا (Inka) حكمة مماثلة. لا تكن كذاباً، لا تكن سارقاً. ولا تكن كسولاً. (165)
- Herodot III 89, 3. (166)
- Herodot III 67, 3. (167)
- Platon, *leges* 695 d. (168)
- Herodot III 80, 5 und 82.5. (169)
- H.v. Gall, *Archäol. Mitteil. aus Iran*, NF 5, 1972, 283 und 277. (170)
- يتفق ذلك مع حجج هيرودوتس التي تقول بقبالية الحاكم الاوتوفراطي للفساد، كذلك تعتبر التقاليد الفارسية أن ميترًا تعتبر الحاكم الذي يقاوم تجربة السلطة جديراً بالتأهيل. راجع: (171)
- Herodot III 72, 4 (172)
- P.T. Brannan, *Traditio*, 19, 1963, 427 ff. (172)
- لقد اعتبر أكثر من واحد ان الصيغة العلامية هي مصدر هذا التقرير عن الوقائع. راجع: (172)
- W. Hinz, *Neue Wege in Altpersischen*, Wiesbaden 1972, 17-60. (172)
- H.T. Wade – Gery. (172)
- مرجع سابق ص 51. (173)
- Herodot II 70, 2, 3. (173)
- Aischylos (Perser 775). (174)
- DB I 46 f. (174)
- DB IV 82. (175)
- Erodot III 70, 3. (176)
- هنا يرد اسم بارسيس بدل بورتافا. (177)
- ان التصحيح الرسمي للكتابات التاريخية نجده في إيران حتى في العهد الساساني المبكر. فقد روى حزة الاصفهاني ان الكاهن بهرام قد جمع ما يزيد على ٣٠ نسخة من الكتاب الملكي ليصلحها نظراً للفروقات الماثلة التي تضمنتها. (177)
- في الكتابات الهيروغليفية يلصق بوالد المقتصب اسم فيشتاسبا وهم اسم يوازي تبعاً للتقاليد المصرية من يعتبر ابنه وريثاً لمن لا تجري في عروقه دماء آلهة. راجع: (178)
- J. yoyotte; *Journ. Asiat.*, 260 (1972) 257. (179)
- C. Alfred JEA 43 (1957), 36. (179)
- Herodot III 88, 2. (179)
- نجد في مصر العليا نقوشاً تؤكد انتصار مصر السفلى. كما نجدها في نقوش اموحتب الذي يعتبر موحد المملكة. (179)
- E. Drioton – J. Vandler; *l'Egypte* Paris 1962, 131. (180)
- B. Porter – R-MOSS; *Topographical Bibliography* Oxford 1937, V 163 (180)
- Demam (s. Anm. 88). (180)
- G. Camps, *Massinissa ou les debuts de l'histoire*, Paris 1960 (– *Libyca* 6), 8 ff., 229 ff. (181)
- A. Weiser. *Die Legitimation des Königs David*, *Vetus Testamentum* 16 (1966) 325, 350. (182)
- بشكل شبه روائي عالج St. Heym نشوء هذه الكتابة التاريخية بتأثير سياسة قبلية

St. Heym: Der Dönlj David bericht. München 1972.

Platon, *Res publica* 414 c und 389 b.

(183)

Aristoteles, *Pol.* I 3 (1253 b 20-23).

(184)

So ein Autor des Vormärz: L. Schiller, Die Lehre des Aristoteles von der Sklaverei, in: *Jahresher. der kgl. St.-diananstalt zu Erlangen* 1847, 19.

(185)

H. Marcuse, *Über den affirmativen Charakter der Kultur*, in: *Kultur und Gesellschaft* I, Frankfurt 1965, 59.

(186)

مكتبة

معهد الإنماء العربي

أثر الإنفاق العسكري في إسرائيل
على مسار النمو الاقتصادي
في الفترة ١٩٥٠-١٩٧٠

عبد الرحمن عسّه صبري